الدعوة إلى الله فضلها – أهميتها – وسائلها

في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية

تأليـــف
الدكتور/ إبراهيم مرشد محمد مرشد

المقدمـــــــة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديهم وسلك طريقهم إلى يوم الدين.

وبعـــــد ...

فالدعوة إلى الله هدف سام، لأن الذين يدعون إلى دين الله – تعالى – وعبادته ومحبته، هم أفضل منزلة عند الله – تعالى – ، وأعظمهم قدرًا، لأنهم يرشدون الناس إلى طريق الخير والهدى، ويأمرونهم بالمعرف، وينهوهم عن المنكر، ليفوزوا بسعادة الدنيا والآخرة، ولذلك كانت الدعوة إلى الإسلام مهمة الأنبياء جميعهم قال – تعالى – " وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ "[1].

ولما كانت الدعوة إلى الله – تعالى – لها أهمية عظمى، ومنزلة كبرى، وأثر بالغ في نفوس الناس قمت بإعداد هذا البحث ليكون مساهمة في إنارة الطريق أمام الدعاة إلى الله – تعالى – وعونًا لهم في أداء مهمتهم، وقد قسمت البحث إلى مقدمة ومحاور وخاتمة وفهارس عامة.

أما المقدمة : فبينت فيها أهمية الدعوة إلى الله – تعالى – وذكرت الخطة التى سرت عليها في هذا البحث.

وأما المحور الأول فهو : تعريف الدعوة لغة واصطلاحًا.

وأما المحور الثاني فهو : حكم تبليغ الدعوة إلى الله.

وأما المحور الثالث فهو : أهمية الدعوة إلى الله – تعالى – ومنزلتها من الدين.

وأما المحور الرابع فهو : أسس دعوة النبي ﷺ الشهادتان.

١- سورة الأنبياء آية (٢٥).

وأما المحور الخامس فهو : فضل الدعوة والدعاة.

وأما المحور السادس فهو : عموم دعوة النبي ﷺ وأنها إلى الأبد.

وأما المحور السابع فهو : مراحل دعوة النبي ﷺ.

وأما المحور الثامن فهو : وسائل وأساليب دعوة ﷺ.

وأما المحور التاسع فهو : ضوابط وتوجيهات في الوسائل والأساليب الدعوية.

وأما المحور العاشر فهو : علاقة الحسبة بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

وأما المحور الحادى عشر فهو : الفرق بين الحسبة والقضاء.

وأما المحور الثانى عشر فهو : الفرق بين الحسبة وولاية المظالم.

وأما الخاتمة : فضمنتها أبرز النتائج التى توصلت إليها من خلال هذا البحث.

وأما الفهارس العامة : فضمنتها ثبتًا للمصادر والمراجع، وفهرسًا للموضوعات.

وبعد ...

فقد بذلت قصارى جهدى في إخراج هذا البحث بقدر الوسع والطاقة، ويعلم الله – تعالى – أنى لم أدخر جهدًا إلا بذلته، فإن كنت قد وفقت فهذا من فضل ربي، وإن كانت الأخرى، فحسبى أنى لم أبخل بجهد، والتمس من الله العفو، فالنقص والخطأ من لوازم الإنسان، والكمال لله وحده.

وأسأل الله – سبحانه وتعالى – أن يجعل هذا البحث خالصًا لوجهه الكريم، وماتوفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

بسم الله الرحمن الرحيم

تعريف الدعوة :

الدعوة في اللغة : الدَعوة، والدِعوة، والمدعاة والمدعاة : ما دعوت إليه من طعام وشراب[١].

قال صاحب المصباح المنير : دعوت الله أدعوه دعاء ابتهلت إليه بالسؤال، ورغبت فيما عنده من الخير، ودعوت زيدًا ناديته وطلبت إقباله، ودعا المؤذن الناس إلى الصلاة فهو داعي الله، والجمع دعاة وداعون، والنبي ﷺ داعي الخلق إلى التوحيد[٢].

يقول الإمام ابن القيم – رحمه الله – : الدعاة جمع داع كقاضى قضاة ورام ورماة، وإضافتهم إلى الله للاختصاص، أي : الدعاة المخصوصون به، الذين يدعون إلى دينه وعبادته ومحبته، وهؤلاء هم خواص خلق الله، وأفضلهم عند الله منزلة وأعلاهم قدرًا[٣].

ويقول الشيخ محمد الراوي : هي الضوابط الكاملة لسلوك الإنسان وتقرير الحقوق والواجبات[٤].

ويقول الأستاذ أحمد غلوش : العلم الذي به تعرف كافة المحاولات الفنية المتعددة الرامية إلى تبليغ الناس الإسلام مما حوى عقيدة وشريعة وأخلاقًا[٥].

والدعوة أيضًا في اللغة : الطلب يقال : دعا بالشئ طلب إحضاره، ودعا إلى الشئ : حثه على قصده، يقال : دعاه إلى القتال، ودعاه إلى الصلاة، ودعاه إلى

١- لسان العرب لابن منظور ٢٥٧/١٧- الناشر/ دار صادر – بيروت.

٢- المصباح المنير للفيومى ١٩٤/١- الناشر/ المكتبة العلمية – بيروت.

٣- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة لابن قيم الجوزية – ١٥٣/١- الناشر/ دار الكتب العلمية – بيروت.

٤- الدعوة الإسلامية دعوة عالمية: ص ١٢.

٥- الدعوة الإسلامية ص١٠.

الدين، وإلى المذهب حثه على اعتقاده وساقه إليه[1].

أما الدعوة في الاصطلاح فهى : "تبليغ الإسلام للناس، وتعليمه إياهم، وتطبيقه في واقع الحياة"[2].

قال الله – تعالى – : (هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ) [3].

يقول الشيخ علي محفوظ – رحمه الله – : الدعوة : هي حث الناس على الخير والهدى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل[4].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – في تعريف الدعوة : الدعوة إلى الله – تعالى – : هي الدعوة إلى الإيمان به، وبما جاءت به رسله بتصديقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا، وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، والدعوة إلى الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره، والدعوة إلى أن يعبد العبد ربه كأنه يراه[5].

يقول الشيخ محمد بن صالح العثيمين – رحمه الله – في تعريف الدعوة كذلك : الدعوة إلى الله – تعالى – دعوة إلى اتباع الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم

١- المعجم الوسيط تأليف/ إبراهيم مصطفى، وأحمد الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد النجار ٢٨٦/١- تحقيق/ مجمع اللغة العربية – دار النشر/ دار الدعوة.
٢- المدخل إلى علم الدعوة ص ١٧.
٣- سورة الجمعة آية ٢.
٤- الدعوة الإسلامية أحمد غلوش: ص ١٠- ١٣.
٥- مجموع الفتاوى لابن تيمية: ١٥٧/١٥، ١٥٨ – تحقيق/ أنور الباز، وعامر الجزار- الناشر/ دار الوفاء- الطبعة الثالثة ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

من النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، صراط الله الذي وضعه لعباده موصلاً إليه، ومصلحًا لأمور دينهم ودنياهم، وبهذا الاتباع تنقطع طرق الابتداع التي يضل مبتدعوها بعضهم بعضًا، وتتفرق بهم الأهواء عن دين الله، ويتبعون غير ما أمرهم به مولاهم في قوله – تعالى –: (وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) [1] ويقعون فيما نهاهم عنهم من التفرق حيث يقول – سبحانه – : (شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ) [2] فالدعوة إلى الله – تعالى – دعوة إلى تبليغ الناس دين الله – تعالى – بكل ما أمر الله – تعالى – به، والنهي عن كل ما نهى الله عنه[3].

١- سورة الأنعام آية ١٥٣.
٢- سورة الشورى آية ١٣.
٣- رسالة في الدعوة إلى الله تعالى، ص ٨.

حكم تبليغ الدعوة إلى الله

الدعوة ليست كائنًا متحركًا بذاته حتى تصل وحدها إلى الناس، ولكنها مفهوم معنوي يطبقه مخلوق مكلف بعد أن يدركها ويحيط بها، وهى مما أوجب الله على مبليغها وهم جميع الرسل والأنبياء - عليهم الصلاة والسلام – ومن تبعهم –قال –تعالى-: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ)[1]، وقال – تعالى - : (شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ)[2].

لقد كانت الدعوة إلى الإسلام مهمة الأنبياء جميعهم كما قال – تعالى - : (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ)[3]، وقال – تعالى - : (فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ)[4]، وبذلك عرَّف الله – تعالى – رسوله محمد ﷺ؛ وهو خاتم الرسل – عليهم الصلاة والسلام – أن تبليغ الدعوة واجب، بل إن واجبه كله ينصره في هذا التبليغ، فإذا بلغ ما أرسل به فقد أدى ما عليه، قال – تعالى - : (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ)[5]، وقال – تعالى- : (وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ)[6]، وقال تعالى : (وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)[7]، ومن هنا حرص الرسول ﷺ

١- سورة النحل آية ٣٦.
٢- سورة الشورى آية ١٣.
٣- سورة الأنبياء آية ٢٥.
٤- سورة النحل آية ٣٥.
٥- سورة المائدة آية ٦٧.
٦- سورة النور آية ٥٤.
٧- سورة النحل آية ٤٤.

على تبليغ الدعوة في المجتمع المكي، وفي المجتمع المدني، وعرض دعوته على القاصي والداني، وعلى الشريف والوضيع، وعلى الحر والعبد، وعلى كل أحمر وأصفر وأبيض وأسود، وعلى كل عربي وعجمي، وبدأ بدعوته الأقرب فالأقرب، ثم تدرج بالدعوة حتى دعا البعيد فالأبعد، حتى دعا الناس جميعًا، لأن رسالته عالمية، وقد بعث إلى الناس جميعًا، قال – تعالى -: (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا)[1].

وجاء فى حديث جابر بن عبد الله – رضى الله عنهما – قال : قال رسول الله ﷺ : " أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلى، نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس كافة، وأعطيت الشفاعة "[2].

وكما أن رسالة نبينا محمد ﷺ رسالة عالمية، فهي رسالة خاتمة لجميع الرسالات السابقة قال – تعالى - : (وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ)[3]، وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : (إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتًا فأحسنه وجمله، إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له، ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة، قال : فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين)[4].

١- سورة الأعراف آية ١٥٨.
٢- أخرجه البخارى فى صحيحه/ أبواب القبلة/ باب: قول النبي ﷺ: (جعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا) ٤٢٧/١٦٨/١، ومسلم فى صحيح/ كتاب المساجد ومواضع الصلاة ١١٩١/٦٣/٢.
٣- سورة الأحزاب آية ٤٠.
٤- أخرجه البخاري فى صحيحه/ كتاب المناقب/ باب خاتم النبيين ﷺ ١٣٠٠/٣/ ٣٣٤٢، ومسلم فى صحيحه/ كتاب الفضائل/ باب ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين ٦٠٩٩/٦٤/٧

ولكون الرسالة المحمدية الإسلامية ختمت، فإن الله – عز وجل – جعل واجب حمل الدعوة على الأمة من بعد رسولها ﷺ، وجعل الخيرية والفضل فيها لقيامها بواجب الدعوة إلى سبيله وطريقه المستقيم، قال الله – تعالى –: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[1]، وقال – تعالى –: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾[2].

قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز – رحمه الله –:

دلت الأدلة من الكتاب والسنة على وجوب الدعوة إلى الله – عز وجل –، وأنها من الفرائض.

وقد اختلف العلماء – رحمه الله عليهم – في نوعية الوجوب على قولين:

القول الأول:

يرى بعضهم: أن حكم تبليغ الدعوة إلى الله واجب وجوبًا عينيًا واستدل بعدة أدلة منها:

١- قوله – تعالى –: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[3].

فقالوا: إن (من) في قوله تعالى (مِنكُم) للبيان، ومعنى الآية: كونوا كلكم أمة تدعون إلى الخير، ولهذا نظائر في كتاب الله، مثل قوله تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ ...﴾[4].

٢- وقوله – تعالى –: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ

١- سورة يوسف آية ١٠٨.
٢- سورة آل عمران آية ١١٠.
٣- سورة آل عمران آية ١٠٤.
٤- سورة الحج آية ٣٠.

ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[1]، فقالوا: وحيث إن الانتماء إلى الأمة الإسلامية واجب وجوبًا عينيًا، فالاتصاف بالصفات السابقة الوارد ذكرها في الآية، يكون وجوبه عينيًا، لأن مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

٣- وقوله – تعالى –: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾[2].

فأقسم الله – تعالى – على أن الإنسان لفى خسر، أى: في خسارة وهلاك، إلا من اتصف بهذه الصفات، والتي منها: التواصي بالحق والذي هو رأس الدعوة إلى الله[3].

فبالأمرين الأولين – الإيمان والعمل الصالح – يكمل العبد نفسه، وبالأمرين الآخرين – التواصي بالحق والتواصي – يكمل غيره، وبتكميل الأمور الأربعة يكون العبد قد سلم من الخسر، وفاز بالربح العظيم.

القول الثاني:

يرى بعضهم: أن حكم تبليغ الدعوة إلى الله واجب وجوبًا كفائيًا، ومعناه: أنه إذا قام لوجوب الدعوة من فيه الكفاية سقط الإثم عن الباقين. وهو قول الجمهور واستدلوا بأدلة كثيرة منها:

١- قوله – تعالى –: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[4].

فقالوا: إن (من) في قوله تعالى: (مِنكُم) للتبعيض وليست للبيان، ومعنى الآية:

١- سورة فصلت آية ٣٣.
٢- سورة العصر الآيات ١- ٣.
٣- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير ٤٨٠/٨ بتصرف – تحقيق/ سامى بن محمد سلامة – الناشر/ دار طيبة للنشر والتوزيع – الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.
٤- سورة آل عمران آية ١٠٤.

وليكن من بعضكم أمة يقومون بواجب الدعوة.

٢- وقوله - تعالى - : (وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ)[1].

فقالوا : إن التفقه في دين الله – عز وجل – كفاية؛ لأن الله – عز وجل - طلب خروج طائفة من المؤمنين، ولم يطلب خروج جميع المؤمنين للتفقه، ولطلب العلم، وعلى هؤلاء المتفقهين والمتعلمين تقع مسؤولية الإنذار والبلاغ، وليست على عامة المسلمين[2].

٣- لو كان حكم تبليغ الدعوة واجبًا وجوبًا عينيًا على كل أحد من الأمة، لوقع الإثم على جميع الأمة، ووقعت في الحرج المؤدي إلى المشقة والعنت، لأنها لن تستطيع بكاملها القيام بذلك، وهذا مما لا يرضاه الله – تعالى - لهذه الأمة؛ لأن مبنى الأحكام الشرعية قائم على اليسر، لا على العسر والمشقة، قال - تعالى - : (يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ)[3]، وقال – تعالى - : (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ)[4].

وينقلب حكم تبليغ الدعوة عند جميع العلماء إلى فرض عين في أحوال منها :

١- **التعيين من قبل الوالي :**

لقوله – تعالى – : (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ)[5].

٢- **التفرد بالعلم الموجب للدعوة :**

قال النووي – رحمه الله – : " ثم إنه قد يتعين كما إذا كان في موضع لا يعلم به

١- سورة التوبة آية ١٢٢.

٢- الموافقات في أصول الشريعة للشاطبي، شرح وتخريج: عبد الله دراز ١٢٦/١، الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ٢٩٣/٨ – ط/ دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان – ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

٣- سورة البقرة آية ١٨٥.

٤- سورة الحج آية ٧٨.

٥- سورة النساء آية ٥٩.

إلا هو "[1].

٣- **انحصار القدرة في أشخاص محددين :**

إذا انحصرت القدرة على الدعوة عند أناس، ولم يقم غيرهم بها، صارت الدعوة فرض عين في حقهم.

قال ابن العربي – رحمه الله – : " وقد يكون فرض عين إذا عرف المرء من نفسه صلاحية النظر، والاستدلال بالجدال، أو عرف ذلك منه "[2].

٤- **تغير الأحوال :**

يرى سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز – رحمه الله – : أن الدعوة تكون فرض عين على كل واحد حسب طاقته عند تغير الأحوال، وقلة الدعاة، وكثرة المنكرات، وغلبة الجهل.

ومؤدي الخلاف نتيجة واحدة، فكلا القولين يريان وجوب تبليغ الدعوة، لتنتشر الفضيلة، وتندحر الرذيلة، وتحمى بيضة الإسلام، ويكون الدين لله الواحد القهار، فمن يرى أن حكم تبليغ الدعوة واجب وجوبًا عينيًا يهدف إلى ذلك، ومن يرى أن وجوبه وجوبًا كفائيًا يشترط قيام من تكون به الكفاية، ولا شك أن اشتراط الكفاية أمر شاق وصعب، وقياس الكفاية أمر غير سهل، وعلى هذا فإن الخلاف بين القولين نظري لا عملي لأمور من أهمها :

١- اتفاق الطرفين على أصل الوجوب.

٢- اتفاق القائلين بالوجوب الكفائي مع القائلين بالوجوب العيني بأنه إذا لم تحصل الكفاية، لم يسقط الحكم عن الباقين، ويبقى الخطاب موجهًا إلى الجميع حتى تتحقق الكفاية، وإذا لم تتحقق الكفاية أثم الجميع.

٣- القائلون بالوجوب العيني قيدوا الوجوب بالاستطاعة، فمن لم يكن عالمًا بحكم المنكر، لا

١- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج النووى ٢٣/٢ – الناشر/ دار إحياء التراث العربى – بيروت – الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ.

٢- أحكام القرآن، لابن العربي ٢٩٢/١.

يعد مستطيعًا بالاتفاق، وكذلك من كان عاجزًا عن تغيير المنكر سقط عنه الوجوب، فلا يترتب على القول بالوجوب العيني حرج على أحد.

٤- أنه لو سقط الوجوب بقيام من تتحقق بهم الكفاية، بقي الندب، فيندب جميع المسلمين إلى القيام بالدعوة استدلالاً بقوله - تعالى - : (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ)[1]، وغير ذلك من نصوص شرعية ترغب في الدعوة، وترتب على فعلها الثواب العظيم.

هذا كله من جهة، ومن جهة أخرى فإن تصور تحقق الكفاية في جانب الدعوة أمر مستحيل، لأن للدعوة الإسلامية مجالين أساسين هما :

أ- دعوة غير المسلمين إلى الإسلام.

ب- ودعوة المسلمين أنفسهم إلى الإسلام على مختلف درجاتهم فيه، وكلا المجالين متجدد، وتستمر الحاجة إلى الدعوة فيه، ولا يمكن أن تتصور الكفاية فيهما إلا على نطاق نادر ومحدود.

فالدعوة إلى الله – تعالى – أمانة ومسئولية ودين وتشريف وتكليف وميراث الأنبياء والرسل – عليهم الصلاة والسلام –، وتحتاج إلى منهج قويم.

١- سورة فصلت آية ٣٣.

أهمية الدعوة إلى الله - تعالى - ومنزلتها من الدين

إن الدعوة إلى الله – تعالى – لها أهمية كبيرة، ومنزلة عظيمة، وهي ضرورية في المجتمع الإسلامي خاصة، وللناس كافة لأجل دعوتهم إلى الإسلام.

وتبرز هذه الأهمية في الدعوة إلى الله – تعالى – بإدراك مضمونها فالمقصود من الدعوة إلى الله – تعالى – إخراج الناس من ظلمات الجهل، ومهاوي الضلال، ومزالق الانحراف والفساد والبغي والعدوان، إلى نور العلم، والفقه في الدين، وإشاعة الخير، ونشر الفضيلة، ومحاربة الرذيلة.

وقد أمر الله – تعالى – نبيه محمد ﷺ بالدعوة إلى الله في مواضع كثيرة من كتابه الكريم، وهذا يدل على أهمية الدعوة إلى الله – تعالى –، فمن ذلك قوله – تعالى- : (فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ)[1].

قال ابن كثير – رحمه الله – : (فالله – تعالى – يخاطب نبيه محمدًا ﷺ مبينًا له أن ما أوحينا إليك من الدين الذي وصينا به جميع المرسلين قبلك أصحاب الشرائع الكبار المتبعة كأولى العزم وغيرهم فادع الناس إليه، واستقم أنت ومن اتبعك على عبادة الله تعالى، كما أمركم الله – عز وجل –) [2].

يقول الشيخ/ عبد الله ناصح علون – رحمه الله – :

(اعلموا رحمكم الله أن الدعوة إلى الإسلام أصبحت في هذا العصر فريضة شرعية، وضرورة صحية على كل من انتسب إلى أمة الإسلام شيبًا أو شابًا رجالاً أو نساءً صغارًا أو كبارًا حكامًا ومحكومين خاصة وعامة، كل يقوم بهذه المهمة على حسب حاله، وحسب طاقته، وحسب إيمانه، وحسب تحسسه بواقع المسلمين،

١- سورة الشورى آية: ١٥.

٢- تفسير القرآن العظيم ١٩٥/٧.

وأصول المجتمعات البشرية) [1].

يقول فضيلة الشيخ/ صالح بن فوزان الفوزان – حفظه الله – :

(الدعوة إلى الله واجبة على هذه الأمة وحق للبشرية عليها، وهذا الوجوب يكون فرض كفاية إذا قام به من يكفى من الأمة سقط الإثم عن الباقين، وإن لم يقم به أحد أو قام به من لا تحصل به الكفاية، أثم كل أفراد الأمة ممن عنده الاستطاعة، قال تعالى : ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[2].

قال الحافظ ابن كثير – رحمه الله – : والمقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن، وإن كان ذلك واجبًا على كل فرد من الأمة بحسبه، كما جاء في صحيح مسلم عن طارق بن شهاب ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ: " من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان"[3]، وفي رواية : (وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل).

فالدعوة إلى الله – تعالى – من أهم المهمات خاصة في هذا العصر، يقول سماحة الشيخ/ عبد العزيز بن باز – حفظه الله – :

(إن الدعوة إلى الله – عز وجل – اليوم أصبحت فرضًا عامًا، وواجبًا عامًا على جميع العلماء، وعلى جميع الحكام الذين يدينون بالإسلام، فرض عليهم أن يبلغوا دين الله حسب الطاقة والإمكان بالكتابة، والخطابة، والإذاعة، وبكل وسيلة استطاعوا، وألا يتقاعدوا عن ذلك، فإن الحاجة بل الضرورة ماسة اليوم إلى التعاون، والاشتراك، والتكاتف في هذا الأمر العظيم أكثر مما كان قبل ذلك، لأن

١- وجوب تبليغ الدعوة، ص٥،٦.

٢- سورة آل عمران آية ١٠٤.

٣- أخرجه مسلم في صحيحه/ كتاب الإيمان/ باب بيان كون النهى عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص وأن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجبان ١/٥٠/١٨٦.

أعداء الله قد تكاتفوا وتعاونوا بكل وسيلة للصد عن سبيل الله، والتشكيك في دينه، فوجب على أهل الإسلام أن يقابلوا هذا النشاط المضل، وهذا النشاط الملحد بنشاط إسلامي، وبدعوة إسلامية على شتى المستويات والوسائل، وبجميع الطرق الممكنة، وهذا من باب أداء ما أوجب الله على عباده من الدعوة إلى سبيله) [1].

ويقول الشيخ/ محمد الأمين الشنقيطي – رحمه الله – في بيان أهمية الدعوة: (إن قيام الأمة المسلمة بواجب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر – وهذا لب الدعوة إلى الله وضروري لها – أساس لصلاح حاضر، ومستقبل زاهر للأمة الإسلامية، وأساس للوحدة والأمن، ولا شك أن تأديته يتطلب مجهودًا كبيرًا خصوصًا في هذا العصر حيث هناك مشكلات يواجهها المسلمون في هذا المجال من شأنها أن تحول دون تأديته، أو تقلل من الاستفادة منه، وليس وجود المشكلات أمام الدعوة بالأمر الجديد، فلم تسلم دعوة من مشكلات تتعرض لها حتى ولو كان القائم بها الرسل – صلوات الله وسلامه عليهم – سنة الله – عز وجل – ابتلاء لعباده) [2].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمة – رحمه الله – في بيان شأن الدعوة إلى الله –تعالى–، وأهميتها، وخطر التهاون بها : (الدعوة إلى الله – تعالى – واجبة على من اتبعه – يعني رسول الله ﷺ – وهم أمته يدعون إلى الله كما دعا إلى الله. وهذا يتضمن أمرهم بما أمر به، ونهيهم عما ينهى عنه، وإخبارهم بما أخبر به إذ الدعوة تتضمن الأمر، وذلك يتناول الأمر بكل معروف، والنهي عن كل منكر.

وقد وصف أمته بذلك في غير موضع كما وصفه بذلك قال – تعالى – : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ

١- الندوة العالمية، ص ٣٨٠- وانظر من أقوال سماحة الشيخ/ عبد العزيز بن باز – رحمه الله – ص ٤٧ – جمع/ زياد السعدون.

٢- التشريع والعلم والدعوة ص ٤٦، ٤٧.

أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ)[1]، وقال - تعالى - : (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ)[2] الآية. وهذا الواجب واجب على مجموع الأمة، وهو الذي يسميه العلماء فرض كفاية إذا قام به طائفة منهم سقط عن الباقين، فالأمة كلها مخاطبة بفعل ذلك، ولكن إذا قامت به طائفة سقط عن الباقين، قال - تعالى - : (وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)[3][4].

ومن هنا تتضح أهمية الدعوة إلى الله - تعالى - من خلال نظرة أعداء الله إليها:

إن الإسلام محارب وأعداءه يكيدون له جميع أنواع الكيد والمكر، ومختلف وسائل الإغواء والإغراء والإضلال على صنوف الأصعدة. فانظر أخي المسلم إلى ما يقوم به المنصرون في جميع أنحاء الدنيا، فهم ينشرون ويبثون سمومهم وأباطيلهم تحت مسمى الرحمة، والفلاح، والهدى، والعلاج المجاني، والمدارس، والجمعيات التعاونية، وغير ذلك حتى يقع المسلم الجاهل في شراكهم، ويأخذ دعوتهم.

وما أجمل ما قاله أحد العلماء في إيضاح طريق الدعوة إلى الله - تعالى -، وأهميته، والحذر من الخلود إلى الدنيا، أو التأثر بما يقوم به أعداء الدين من تشويه الإسلام بكافة طرقهم، ومختلف وسائلهم :

(الدعوة ليست طريقًا سهلاً بل هي طريق صعب ... لماذا ؟ لأن الداعي يطلب من الناس أن يتقيدوا بمنهج السماء ... بينما هم يريدون أن يتبعوا شهوات الأرض، وشهوات الأرض تحقق لهم متعة عاجلة، وإن كانت وقتية، والدين يحرم

١- سورة آل عمران آية ١١٠.
٢- سورة التوبة آية ٧١.
٣- سورة آل عمران آية ١٠٤.
٤- مجموع الفتاوى، ١٥/١٦٥.

الناس من المتع الوقتية ليعطيهم متاعًا أبديًا، والدين لا يحرم إلا ما يضر خلق الله ماديًا كان أو معنويًا) [1].

أسس دعوة النبي ﷺ الشهادتان

إن أصل الإسلام وأساسه، وأول ما يؤثر به الخلق في الدعوة إلى الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله ﷺ، وبهذا يصير الكافر مسلمًا والعدو وليًا، والمباح دمه معصوم الدم والمال.

يقول الشيخ/ عبد الله بن محمد بن حميد - رحمه الله - : وقد قام الرسول ﷺ بالدعوة إلى الله صابرًا محتسبًا كما أمره الله بقوله : (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ)[2].

وقوله تعالى : (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ)[3]. فكان ﷺ يغشى الناس في مجالسهم في أيام المواسم، ويتبعهم في أسواقهم فيتلو عليهم القرآن، ويدعوهم إلى الله - عز وجل - ويقول : " ... من يؤويني من ينصرني حتى أبلغ رسالات ربي - عز وجل - وله الجنة..."[4]. فلا يجد أحد ينصره، ولا يؤويه، ولم يستجب له في أول الأمر إلا الواحد بعد الواحد من كل قبيلة، وكان المستجيب له خائفًا من عشيرته وقبيلته، يؤذى غاية الأذى، ويُنال منه وهو صابر على ذلك، وأقام - صلوات الله وسلامه عليه - على هذا بضع عشرة سنة[5].

لقد كانت بداية دعوة النبي ﷺ أنه يجتمع بأصحابه في شعاب مكة، ثم اختار دار

١- معجزة القرآن للشيخ محمد متولى الشعراوي - رحمه الله - ط/ المختار الإسلامى للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة - الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ - ١٩٨٧م.
٢- سورة الحجر آية ٩٤.
٣- سورة يوسف آية ١٠٨.
٤- أخرجه أحمد في مسنده عن جابر ٣/٣٣٩/١٤٦٩٤.
٥- الدعوة إلى الله وجوبها ص١٣٥،١٣٦.

أحدهم للاجتماع، وهي دار الأرقم بن أبي الأرقم، فكانت أول مدرسة في الإسلام، فالرسول ﷺ بدأ دعوته بما بدأ به الأنبياء قبله فدعوته ﷺ إلى إخلاص العباد لله وحده.

قال – تعالى – : (لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ) [1].

قال علي وابن عباس رضى الله عنهم : (له دعوة الحق) التوحيد أي لا إله إلا الله. قال – تعالى – : (وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ)[2] وقال – تعالى – : (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ)[3].

وقد ورد في وصية رسول الله ﷺ لمعاذ ﷺ حين بعثه إلى اليمن : "إنك ستأتي قومًا من أهل الكتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله... "[4].

وروى عن عبد الله بن عمر ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله"[5].

١- سورة الرعد آية ١٤.

٢- سورة الأنبياء آية ٢٥.

٣- سورة النحل آية ٣٦.

٤- أخرجه البخارى فى صحيحه/ كتاب المغازى/ باب بعث أبى موسى ومعاذ بن جبل رضى الله عنهما إلى اليمن قبل حجة الوداع ٤/١٥٨٠/٤٠٩٠.

٥- أخرجه البخارى فى صحيحه/ كتاب الإيمان/ باب " فإن تابوا وأقاموا الصلاة وأتوا الزكاة فخلوا سبيلهم" التوبة (٥) – ١/١٧/٢٥. ومسلم فى صحيحه/ كتاب الإيمان/ باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ١/٣٩/١٣٨.

فالله – جل وعلا – قد بعث في كل أمة رسولاً، وهذا الرسول يأمر الأمة، ويدعوها لعبادة الله وحده لا شريك له، وترك ما سواه، فهي دعوة إلى التوحيد الذي هو إفراد الله – تعالى – بالعبادة وحده دون سواه، قال تعالى : (وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)[1].

إن دعوة النبي محمد ﷺ كانت بالحكمة، والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، ولقد كانت دعوة النبي ﷺ بالتدرج مما كان لذلك الأثر الكبير، حيث يظهر هذا الأثر في نفوس كثير من المدعوين وذلك بقبولهم الحق، وأخذهم به.

قال الشيخ/ محمد بن حزم – رحمه الله – : نسخ الله – تعالى – ببعثة رسول الله ﷺ كل ملة، وألزم أهل الأرض جنهم وأنسهم اتباع شريعته التي بعث بها.

روى عن عبادة بن الصامت ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " من شهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه، والجنة حق، والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل"[2].

بعض الآيات الكريمة التي فيها خطاب من الله – تعالى - للنبي ﷺ في الدعوة إلى الله:

وقد أمر الله – تعالى – نبيه محمد ﷺ بالدعوة فقال – تعالى – : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا) [3].

كما أن الله تعالى كرر الخطاب لرسوله ﷺ بالدعوة إلى الله – تعالي –،

١- سورة الذاريات آية ٥٦.

٢- أخرجه البخارى فى صحيحه/ كتاب الأنبياء/ باب قوله " يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم... " ٣/١٢٦٧/٣٢٥٢.

٣- سورة الأحزاب الآيتان ٤٥، ٤٦.

والاستمرار عليها، وعدم تركها فقال - تعالى - : (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) [1]، وقال - تعالي - : (وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ) [2] فصار - عليه الصلاة والسلام - يدعو إلى ربه حتى آتاه اليقين، فكل دعوة إلى الله - تعالى - فهي حق، وكل دعوة إلى غيره فهي باطلة، ومنهجها غير مستقيم، وكل منهج ورائها معوج، وهي تقوم على العقل، وعلى الحمق والهوى.

قال - تعالى - : (فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ) [3]، وقال - تعالى - : (وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ)[4].

مما تضمنته دعوة النبي ﷺ العلم والعمل :

دعوة النبي ﷺ قد تضمنت بيان الحق في أصول الدين وفروعه.

ومما تضمنته رسالة النبي محمد ﷺ شيئين هما العلم النافع، والعمل الصالح، قال تعالى : (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ)[5].

فالهدى يتضمن : العلم النافع، ودين الحق، يتضمن : العمل الصالح ومبناه على العدل، وأصل العدل : العدل فى حق الله تعالى وهو عبادته وحده لا شريك له، فإن الشرك ظلم عظيم[6].

وقال تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ

١- سورة النحل آية ١٢٥.
٢- سورة الحج آية ٦٧.
٣- سورة الشورى آية ١٥.
٤- سورة المؤمنون آية ٧٣.
٥- سورة التوبة آية ٣٣.
٦- الجواب الصحيح لابن تيمية ١/١٠٦- تحقيق د/ على حسن ناصر، ود/ عبد العزيز إبراهيم العسكر، ود/ حمدان محمد – الناشر/ دار العاصمة – الرياض – الطبعة الأولى – ١٤١٤هـ.

فَآمِنُوا خَيْرًا لَّكُمْ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا)[1]، أي بالهدى، ودين الحق، والبيان الشافي الذي يجيب قبوله.

وقال تعالى : (قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ)[2].

أي على علم ومعرفة بما يدعو إليه، والداعية يجب عليه أولاً قبل أن يشرع في الدعوة، أن يكون على علم، وعلى بصيرة بما يأمر به، وبما ينهى عنه، لا يدعو الناس وهو يجهل الأحكام الشرعية، ويجهل مسائل الحلال والحرام، لابد أن يعرف المعروف من المنكر، ويعرف الحق من الباطل ويعرف الحلال من الحرام حتى يكون على بصيرة، إذا قال هذا الشئ حلال يكون على بصيرة، وإذا قال هذا الشئ حرام يكون على بصيرة، وإذا قال هذا الشئ مشروع يكون على بصيرة، وإذا قال هذا الشئ ممنوع يكون على بصيرة.

أما الجاهل فإنه لا يصلح للدعوة، بل عليه أن يتعلم ويتأهل حتى يشارك في الدعوة إلى الله – تعالى - ، فنحن نقول للجاهل تعلم، وللمتعلم أدع إلى الله بما علمت، وبصر الناس، وأرشدهم بما فهمت[3].

يقول الشيخ / محمد بن عثيمين – رحمه الله - : (فكل من اتبع النبى صلى الله عليه وسلم فإنه لا يُكتفى باتباعه ، أن يقوم بالعبادات الخاصة من صلاة وزكاة وصيام وحج وبر والدين وصلة رحم ، بل لا بد أن يكون داعية إلى الله –تعالى – بحاله ومقاله ، ولا بد أيضًا أن يكون داعية إلى الله – تعالى – على بصيرة بحال من يدعوهم)[4].

١- سورة النساء آية ١٧٠.
٢- سورة يوسف آية ١٠٨.
٣- ثلاثة محاضرات في العلم والدعوة، للشيخ الدكتور صالح بن فوزان الفوزان، ص ٤٠، ٤١.
٤- تعاون الدعاة وأثره فى المجتمع ص ٦.

فالداعي يدعو إلى الله – تعالى – بالدعوة على بصيرة من ذلك، ويقين، وبرهان، هو وكل من اتبعه يدعو إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ على بصيرة، ويقين، وبرهان عقلي وشرعي[1].

١- مختصر ابن كثير للشيخ/ محمد نسيب الرفاعى ٥٠٣/٢.

نموذج من دعوة الرسول ﷺ

كان ﷺ لا يواجه أحد بما يكرهه، وكان إذا بلغه عن أحد من أصحابه شيئًا يقول : " ما بال أقوام يقولون كذا وكذا، وما بال رجال يفعلون كذا، ولا يُعينهم خشية أن يحصل لهم خجل، أو استحياء بالتعيين بين الناس، ويكفيهم ذلك في النهي.

روى عن أبي أمامة – رضى الله عنه – : " أن غلامًا شابًا أتى النبي ﷺ، فقال : يا رسول الله أتأذن لي بالزنا؟ فصاح الناس به؟ فقال النبي ﷺ : " إدن " فدنا حتى جلس بين يديه فقال : " أتحبه لأمك ؟ "، قال : لا، جعلني الله فداك، قال : "ولا الناس يحبونه لأمهاتهم "، "أتحبه لأختك؟ " فقال لا، جعلني الله فداك، فقال ﷺ : " كذا الناس لا يحبونه لأخواتهم" فوضع رسول الله ﷺ يده على صدره، وقال " اللهم طهر قلبه، واغفر ذنبه، وحصن فرجه" فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شئ[1].

فالدعاة إلى الله – تعالى – عليهم أن يأخذوا بهذا النموذج النبوى فى الدعوة إلى الله – تعالى – فى كل زمان ومكان، حتى تؤتى الدعوة إلى الله – تعالى – ثمرتها الطيبة، ويتحقق النجاح من قيام الداعى بالدعوة إلى الله – تعالى – لكافة الناس.

١- أخرجه أحمد فى مسنده ٢٥٦/٥/٢٢٢٦٥.

فضل الدعوة والدعاة

لقد ورد في كتاب الله – تعالى –، وفي سنة رسوله ﷺ آيات وأحاديث نبوية في فضل الدعوة والدعاة إلى الله – تعالى –، والثناء والمدح لمن سلك هذا الطريق، قال الله – تعالى –: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[1].

أي لا أحد أحسن قولاً منهم، وعلى رأسهم الرسول – عليه الصلاة والسلام –، ثم اتباعهم بإحسان إلى يوم الدين، فالدعوة إلى الله – تعالى – من أهم القربات، ومن أفضل الطاعات، والدعوة إلى الله من أفضل الأعمال، ومن أفضل الجهاد، وأن أهلها في غاية الشرف وفي أرفع مكانة[2].

وقال – تعالى – : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾[3].

وروى عن أبى هريرة – ﷺ – : " خير الناس للناس تأتون بهم في السلاسل فى أعناقهم حتى يدخلوا فى الإسلام "[4].

وقال ﷺ : " من دل على خير فله مثل أجر فاعله "[5].

وقال ﷺ : "...فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خير لك من حُمر النعم"[6].

١- سورة فصلت آية ٣٣.

٢- الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة، لسماحة الشيخ/ عبد العزيز بن باز – رحمه الله – ص ٢١،٢٢.

٣- سورة آل عمران آية ١١٠.

٤- أخرجه البخاري فى صحيحه/ كتاب التفسير/ سورة آل عمران/ باب/ كنتم خير أمة أخرجت للناس ٤/١٦٦٠/٤٢٨١.

٥- أخرجه مسلم في صحيحه/ كتاب الإمارة/ باب فضل إعانة الغازى في سبيل الله بمركوب وغيره وخلافته في أهله بخير ٦/٤١/٥٠٠٧.

٦- أخرجه البخارى في صحيحه/ كتاب المغازى/ باب غزوة خيبر ٤/١٥٤٢/٣٩٧٣، ومسلم في صحيحه/ كتاب فضائل الصحابة/ باب من فضائل على بن أبى طالب ﷺ ٧/١٢١/٦٣٧٦.

قال الإمام القرطبي – رحمه الله – فى قوله تعالى : ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۘ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[1] فجعل الله – تعالى – الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر فرقًا بين المؤمنين والمنافقين، فدل على أن أخص أوصاف المؤمن الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ورأسها الدعاء إلى الإسلام، والقتال عليه[2].

قال عمر بن الخطاب ﷺ : (أيها الناس إن الله قد أعز دعوة هذه الأمة وجمع كلمتها، وأظهر فلجها، ونصرها، وشرفها).

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله – : (أن أعظم المراتب وأجلها عند الله – تعالى – الدعوة إليه).

قال الله – تعالى – : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [3]، وقال ﷺ : "لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خير لك من حمر النعم"[4].[5]

١- سورة التوبة آية ٦٧.

٢- الجامع لأحكام القرآن ٤/٤٧.

٣- سورة فصلت آية ٣٣.

٤- سبق تخريجه ص٣١.

٥- الرسائل الشخصية للشيخ/ محمد بن عبد الوهاب ١/٢٦.

الصالحين، وأى من ظلم وعمل فيها بجهل فهو من الفجار الظالمين[1].

الفرق بين الحسبة والقضاء

أن من ولى الحسبة عليه أن ينظر فيما عليه الناس من سلوك وتعامل، وأن يبعث أعوانه في الأسواق، فإذا رأوا منكرًا قائمًا أمروا بإزالته، وإن رأوا معروفًا قد ترك أمروا بفعله، وعليهم أن يأمروا بإزالة الغش، وإقامة الصلاة، ويمنعوا من تبرج النساء، أما القضاء فهو لإقرار العدل بين الناس والمناصفة، ويتطلب من القاضي الأناءة والوقار والتثبت، وقصور الحسبة عن سماع الدعاوى الخارجية عن ظواهر المنكرات، ومن الدعاوى في الحقوق والعقود والمعاملات.

فالحكم بالشفعة، وإلزام المشتري بتسليم الشقص للشفيع، وأخذ الثمن منه من مهمات القاضى.

الفرق بين الحسبة وولاية المظالم

يكون القائم عليها على جانب كبير من الهيبة، والشدة على المفسدين، والعصاة، والظلمة، وأن كلاً منها موضوع للرهبة والغلظة.

وعقد ولاية المظالم لإقرار الحق وانتزاعه ممن تمرد على القضاء لقوة جانبه بنسب عال، وذلك يحتاج إلى سلطة وصرامة، ولوالي المظالم أن ينظر في القضايا التي يعظم خطرها، وولاية الحسبة تقوم بردع العصاة عن الفساد في الأرض، ومنعهم من أكل أموال الناس بغير حق، وذلك لا يتم إلا بقوة ومنعة، وليس للمحتسب أن ينظر في القضايا التي تحتاج إلى إثبات أو يدخلها الإنكار.

يقوم والي الحسبة بالبت في الأمور السهلة الواضحة، ويقوم القضاة ووالي المظالم بالنظر في معضلات القضايا التي تحتاج إلى بينات ودفوع.

١- مجموع الفتاوى ٢٨/٦٨، ٦٩.

الخاتمـــة

الحمد لله الذى هدانا لهذا، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد ولد عدنان، المبعوث إلى الأنس والجن، أفصح من نطق بلغة القرآن، وعلى آله وصحبه ، ومن اتبع طريقهم إلى يوم الدين.

وبعـــــــد

فقد عايشت هذا البحث رحلة غير قصيرة، وأطلت فيه النظر، وأكثرت فيه التأمل، وقد انتهت فيه إلى نتائج من أبرزها :

١- الدعاء هم المخصوصون بالدعوة إلى دين الله – تعالى – وعبادته ومحبته، وهم خواص خلق الله، وأفضلهم عند الله – تعالى – منزلة، وأعلاهم قدرًا.

٢- الدعوة هي تبليغ الإسلام للناس، وتعليمه إياهم، وتطبيقه في واقع الحياة.

٣- رسالة نبينا محمد ﷺ رسالة عالمية، فهي رسالة خاتمة لجميع الرسالات السابقة.

٤- يرى البعض أن تبليغ الدعوة إلى الله واجب وجوبًا عينيًا، ويرى البعض الآخر أن تبليغ الدعوة إلى الله واجب وجوبًا كفائيًا.

٥- الدعوة إلى الله لها أهمية كبيرة، وهي إخراج الناس من ظلمات الجهل، ومهادى الضلال إلى نور العلم، والفقه في الدين، ونشر الفضيلة، ومحاربة الرذيلة.

٦- الشهادتان هما أصل الإسلام، وأساسه وأول ما يؤثر به الخلق.

٧- أثنى الله - تعالى – ونبيه محمد ﷺ في آيات كريمة، وأحاديثة شريفة على الدعاة إلى الله – تعالى -.

٨- دعوة النبي ﷺ عامة وأبدية، فهى ليست لشئ معين، بل شملت كل شئون الحياة والأحياء.

٩- هناك ضوابط وتوجيهات على الداعي إلى الله - تعالى - أن يتمسك بها في دعوته إلى الله – تعالى - .

والله اسال أن اكون قد وفقت فيما قدمت، فإن كان كذلك فبها ونعمت،

وحمدًا لله على عونه وتوفيقه، وإن كانت الأخرى فالكمال لله وحده، وحسبى أن الحسنات، يذهبن السيئات، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ثبت المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

أحكام القرآن، ابن العربى.

أهمية توحيد العباد، الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد.

التشريع والعلم والدعوة، الشيخ / محمد الأمين الشنقيطى.

تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، دار طيبة للنشر والتوزيع، تحقيق/ سامى بن محمد سلامة

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدى، مؤسسة الرسالة، عبد الرحمن بن معلا اللويحق

ثلاث محاضرات في العلم والدعوة، الدكتور/ صالح بن فوزان الفوزان.

الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ط/ دار احياء التراث العربي – بيروت – لبنان.

الجواب الصحيح، ابن تيمية، دار العاصمة – الرياض، د/ على حسن ناصر، ود/ عبد العزيز احمد العسكر

الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، أحمد بن أحمد غلوش، دار الكتاب العربى – القاهرة – ط/ الثانية.

الدعوة إلى الله واطلاق الدعاة، الشيخ / عبد العزيز بن باز.

الدعوة إلى الله وجوبها.

الرحيق المختوم.

الرسائل الشخصية، الشيخ / محمد بن عبد الوهاب.

رسالة في الدعوة إلى الله تعالى، الشيخ / محمد بن عثيمين.

سنن الترمذى، محمد بن عيسى ابو عيسى الترمذى، دار احياء التراث العربى – بيروت، احمد محمد شاكر وآخرون

شعب الايمان، أحمد بن الحسين بن على البيهقى، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع – الرياض، د/ عبد العلى عبد الحميد حامد

الصحوة الإسلامية ضوابط وتوجيهات، الشيخ / محمد بن عثيمين.
صحيح البخارى، محمد بن اسماعيل البخارى، دار ابن كثير اليمامة – بيروت، د/ مصطفى ديب البغا
صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج، دار الجيل بيروت دار الآفاق الجديدة – بيروت.
لسان العرب، ابن منظور، دار صادر – بيروت.
مجموع الفتاوى، ابن تيمية، دار الوفاء، تحقيق أنور الباز، عامر الجزار
مختصر ابن كثير، الشيخ / محمد نسيب الرفاعى، دار الرسالة – بيروت – ط / الثانية.
المدخل إلى علم الدعوة، د / محمد أبو الفتح البيانونى، مؤسسة الرسالة – بيروت- ط / الثانية.
مسند أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل ابو عبد الله الشيبانى، مؤسسة قرطبة – القاهرة.
المصباح المنير، الفيومى، المكتبة العلمية – بيروت.
معجزة القرآن، محمد متولى الشعراوى، المختار الإسلامى للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة.
المعجم الكبير، سليمان بن احمد بن ايوب الطبرانى، مكتبة دار العلوم والحكم، حمدى عبد المجيد السلفى
المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، دار الدعوة، مجمع اللغة العربية
مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن قيم الجوزية، دار المكتبة العلمية – بيروت.
المنهاج شرح صحيح مسلم، دار احياء التراث العربى – بيروت.

الموافقات في أصول الشريعة، الشاطبي، شرح وتخريج – عبد الله دراز
الندوة العالمية، رابطة العالم الإسلامى.
وجوب تبليغ الدعوة.

فهرس الموضوعات

المقدمـــــــة ١٥٢٥
تعريف الدعوة ١٥٢٧
حكم تبليغ الدعوة إلى الله..... ١٥٣٠
أهمية الدعوة إلى الله – تعالى – ومنزلتها من الدين ١٥٣٧
أسس دعوة النبي ﷺ الشهادتان ١٥٤١
فضل الدعوة والدعاة..... ١٥٤٨
عموم دعوة النبي ﷺ وأنها إلى الأبد..... ١٥٥٠
مراحل دعوة النبي ﷺ ١٥٥٢
وسائل وأساليب دعوة النبي ﷺ ١٥٥٣
ضوابط وتوجيهات في الوسائل والأساليب الدعوية ١٥٥٥
علاقة الحسبة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ١٥٥٧
الفروق بين الحسبة والقضاء ١٥٦٠
الفرق بين الحسبة وولاية المظالم..... ١٥٦٠
الخاتمة ١٥٦١
فهرس الموضوعات ١٥٦٦